نظرة بسيطة في ديوانه الجواهري

— ١ —

كان يقول الدكتور شبلي شميل « : اقل مافي اطلاق حرية الفكر والقول تربية الطبع على الشجاعة والصدق . وبئس الناس اذا قصروا على الجبن والكذب » . ونحن كما عرفنا قراؤنا — من اشد المتحمسين للصحافة حرصاً على اطلاق حرية الفكر والقول . وقد جعلنا شعار المجلة « فكر لنفسك » وهو شعار اهل الفكر الحر في اوربة ودعاة تحرير الانسان من ربقة التقاليد والافكار القديمة . ولذلك كانت مجلتنا هذه وما تزال مفتحة الصحائف لكل كاتب حر يريد ان يطالع القارئين بشيء جديد من ثمرات التفكير والنقد النزيه البريء وان كان قاسياً . وهذا المقال مما رحبنا به وفسحنا له مجال النشر وهو المتأدب من ذوي الذكاء الواعد . والمجلة كما رحبت به ترحب بمن يريد ان يرد عليه كذلك على ان يلتزم جادة الانصاف والنزاهة .

« المحرر »

اكتب الآن هذه الكلمة الموجزة و بين يدي ديوان الشاعر المبدع الاستاذ الجواهري ابين فيها ما احب ان يعرفه القراء وان يتفهموه ليكون لهم عوناً على مطالعة هذا السفر الجميل .

وليس احب الى من ابين قبل ان ابدأ باظهار ما في نفسي من الشعور بعد ان قرأت ما قرأته من الديوان رأيي في تقسيم الشعراء العراقيين في وقتنا الحاضر لنرى اين يكون موضع الجواهري منهم ثم نبدأ بالنقد عن معرفة وبحث ولئلا نخطأ فيكون خطأنا هذا باعثاً على الانتقاد وعلى قلة الاعتداد بما تحويه هذه الكلمة التي اقسم بالله انها لم تكن لنزوة شخصية ولا لاسباب

وانما كانت رغم اخلاصي للاستاذ الجواهري وحبي له كلمة حق تصدر عن قلب ثابت الاعتقاد قد احكم رأيه ثم ابداه ، وكف سدد سهمه ثم رماه .

الشعراء العراقيون اصلحك الله على ما ارى طبقات عده احب ان اذكر لك منها طبقتين فقط اما ما بقي فليس لنا فيه من شأن وفي كل طبقته شعراء ثلاثة لا رابع لهم فشعراء الطبقة الاولى الازري والرصافي والشبيبي وشعراء الطبقة الثانية الشرقي والزهاوي والجواهري وهو صاحب الديوان الذي ننقده الآن الا ان الاستاذ الجواهري ربما علا على شعراء طبقة في قصيدة او اكثر فبلغ بها شعراء الدرجة الاولى و ربما اسف في غيرها فكان من شعراء الدرجة الثالثة او الرابعة ولكنا لا نتمسك بالنادر ولا بالقليل وانما نرى اغلبية الشعر فنحكم عليه حكماً عاماً لا يتقيد الا بالوقت الحاضر اذ ربما ارتقى شعر الاستاذ وهذا ما نراه . فبز شعراء الطبقة الاولى ونرى ان هذا اليوم ليس ببعيد

واذا علمت باني اضع الجواهري في الطبقة الثانية من الشعراء فاعلم بعد ذلك باني لا اتفرغ لديوانه تفرغي لديوان شاعر من الطبقة الاولى ولا بد انك قد قرأت من عنوان المقال انه نظرة بسيطة ليس فيها من التعمق في البحث الا ظواهر تحس بها متفرقة في اجزاء هذا المقال .

واذا ما تجمعت هذه الاسباب واضيف اليها انشغالي بمتاعب الامتحان في كلية الحقوق امكنك ان تعلم ان هـــذه النظرة قد مرت سراعاً على صفحات هذا الديوان فلم تلم الا باجزاء منه او بعبارة اخرى لم تتفرغ للبحث في فكرة من فكر الاستاذ الاجتماعية ومبدائه القومي ونظرته في الحياة وحديثه عن نفسه اما ما بقي من وصف لجمال الطبيعة ، وقد بز الاستاذ فيها من قبله ، ومن مدحه الذي خص به سلالة الملوك والامراء الهاشميين خلا بضعة

قصائد مدح فيها بعض من لا يستحقون المدح كشوقي المسمى كذباً — بامير الشعراء والريحاني الذي اذا قرأت له قصيدة او مقالة خرجت من مطالعتها وقد بقي في نفسك اثر شيء مما وصلت اليه حال الكتابة في هذا العصر حتى التفقها من لا يفهمون لها معنى — ولكن كل ذلك لا رأي لنا فيه اذ لم يتسع لنا المجال في مثل هذا لوقت الا للنظر في الاغراض التي قدمتها لك قبل الآن واستميح الاستاذ الجواهري العذر اذا ما اخبرته بانى استهجنت ما بدأ به الديوان من اعتذار لا محل له حول وصفه الطبيعة في فارس اذ ان كل شاعر له الحق في وصف أي شيء رآه واي بلاد اعجبه ما تحويه من مناظر لا ان يتبع بذلك رأي غيره من الناس ولا ارى حال الاستاذ الجواهري في هذا الامر الا ان يصدق عليه قول من قال (يكاد المريب ان يقول خذوني) ثم تأتي من بعد كلمته هذه كلمات لبضعة من رجال الشعر والادب قرظوا فيها الديوان ولا بأس بايراد نبذة من استطرادنا كتبها الآن اذ لا فرصة لنا في كتابتها غير هذه وهي ان كل من عرض عليه اي ديوان في بلادنا الشرقية مدحه مدحاً اقل ما يقال فيه انه مبالغه او افراق ولم نجد احداً من الادباء كتب على ديوان او كتاب قديم اليه لنقده الا تقريظاً كأن ذلك من الواجبات .. المفروضة ! ولست بقاصد بكلمتي هذه ديوان الاستاذ الجواهري فان تقريظ الادباء فيه كان حقاً وان كان في كلام بعضهم مبالغه لا اعدها مستملحة وانما ذكرت بهذا التقريظ كتاب اسمه « التحفة الايقاظية في الرحلة الحجازية » لسليمان فيضي الموصلي فانك لتتصفح هذا الكتاب فتجد ثلاثة ارباعه مدحاً لا معنى له فمن جاعل هذا الكتاب من خير الكتب ومن جاعل مؤلفه من نوابغ المؤلفين وخيرتهم الى غير ذلك من مبالغة في المدح ينبو عنها الذوق وتنفر منها الاسماع، ثم يأتي بعد ذلك الربع الاخير وهو الكتاب الذى

يصح فيه اذا ماقسته بالتقريظ الضخم الذي ناله قول من قال (البطانة اغلى من الوجه) فتر في فيه من تفكك العبارة والسجع المستقبح والكلام البارد مالا وجود له الا في هذيان رفائيل بطي الذي يسميه مقالات في الشعر المنثور ؛ السخافات التي يريد ان يعتلي بها اريكة الادب في هذه البلاد المسكينة التي تعتبر الخشف حماراً والديك غزالاً .

ولم يلفت نظري من تقاريظ الادباء للديوان الا تقريظي الاستاذ ابراهيم حلمي العمر والشيخ علي الشرقي فاما الاول فقد كان جميلا في بيانه بديعاً في تركيب عباراته وجمله اورد فيه ما يعرفه عن الاستاذ الجواهري بكلام هو السهل الممتنع بعيد عما يقع فيه المقرظون من حوشي الكلام ومعقد العبارات التي تقرأها فلا تفهمها الا اذا راجعت عنده من معاجم اللغة وهي فوق هذا التعقيد لا معنى فيها واما الثاني فكان جميلا في اسلوبه رقيقاً في وضعه ولكن الاستاذ الشرقي تظارف كثيرا فجاء مقاله يقطر ظرفاً ولكنه ظرف سمج اذ ما معنى ايراده كلمات كاتي نراها في وصف نفسية صاحب الديوان وهاك قسما منها : — الثالوث الاقدس، حب الجمال ، الرسالة القدسية تقارع اجراس النواقيس ، التثليث ، المعبود الازلي والى غير ذلك من الكلمات التي لا اكتم القارئ اني خلت نفسي عند ما قرأتها كأني في كنيسة وكأن الاستاذ يتلو على هذه الكلمات وقد لبس لباس المبشرين الذين يتواردون من الاصقاع البعيدة لافساد عقائد الناس ويزيغونهم عن طرائقهم ! ولست ادري ما الذي يريده الاستاذ الشرقي بايراد مثل هذه الكلمات فان بعض الكتاب الذين ظهروا في زمننا هذا قد كتبوها لانهم لم يجدوا غيرها لقلة بضاعتهم في اللغة ولقصر يدهم عن تناول غيرها من الكلمات المألوفة اما محاولته التشبه بهم فهذا ما لا اراه لائقاً به وهو بعمامته البيضاء الفهم الا اذا

اراد ان يكون هذا المقال كمقدمة عملية لنزع العمامة وتوابعها ولبس الملابس الافرنجية .والحق اننا لنشكر للشيخ مثل هذه الهمة او — على الاقل — نحيي فيه مجرد التفكير — ان كان — في مثل هذا الامر ونرجو ان يثابر على رأيه وان كان ما نعرفه عنه انه لا يثبت على مبدأ ولا يقف على رأي جل او صغر ....

اما وقد املك طول الكلام في هذه المواضيع فهلم بنا الى رياض شعر الاستاذ الجواهري النضرة نقتطف منها ما يدلنا على مبدائه ورأيه الاجتماعي وعلى افكاره التي تتنازعه فيستسلم اليها حيناً ويثور عليها حيناً آخر وعلى مناحي حياته الشعرية التي يحدثنا فيها عن شعره ...

ان ديوان الاستاذ الجواهري اشبه بلؤلؤة كريمة قد اصابها من بعض نواحيها تلف الا ان اغلبها سالم لم يعاب وان ذلك العطل والتلف لم يقلل من قيمتها ولم يبخس من ثمنها بل انه في نظري ليزيدها حسناً اذ انك لن تعرف الجيد من الشعر حتى تقيسه بالمنحط منه وربما كانت هذه النظرية قد خطرت ببال الاستاذ الجواهري حين وضع شيئاً من المنحط في ديوانه ....

ولست بمستعرض في هذا المقال للاسلوب الشعري ومقارنته باساليب غيره من الشعراء فان الاستاذ صاحب الديوان قد جود الاسلوب في شعره لدرجة لا يصل اليها قدح قادح ولكن — وفي هذا المقال فقط — التزم ما يلتزمه استاذي الفاضل الكاتب محمود احمد من عناية بالفكرة وجعلها هدفا للنقد بعد ازالة ما تلبسه من الاثواب التي ربما كانت جميلة مزوقة وربما كانت عكس ذلك .

وانك لتقرأ الكثير من شعر الاستاذ في ديوانه فلا ترى الا نفساً وثابة وشعراً رصيناً في تركيبه متيناً في اسلوبه تجري الكلمات في ابياته كأنها قد

وضعت لتفرغ فيها او كأنها بنيان مرصوص فلست بقادر على ان تجد في احدى ابياته كلمة مبتذلة او لفظاً لم يكن احسن من غيره في معناه اللهم الا في القليل النادر والنادر لا يقاس عليه .

ويعجبني من الاستاذ ثباته على مبدائه وانه منذ عرفته ثابت المبدأ لم تغيره عن رأيه الصعاب ولم يغيره درهم ولا دينار . وقد تبتدأ بالقصيدة الحماسية من ديوانه فلا يزال يصور لك حالة البلاد و يصف اهاليها وأرضها وماءها ابدع وصف ثم يذكرك بالماضي المجيد و يبسط امام ناظريك حاضرها التعس حتى تتلظى ألماً وتحس بالحرارة تتأجج بين اضلاع صدرك لدفع هذا الضيم ثم يرسم لك في القصيدة نفسها ما يلزم عمله للوصول الى مستقبل حافل بجلائل الاعمال ملئى بالرخاء والسعادة حتى يطير بك الى عالم الخيال لتتصور حالة بلادك في الازمنة المستقبلة وعندئذ تحس بسيطرة الشاعر على عواطف القارئ وعندئذ تصدق زعمي بان هذا الشاعر الشاب الذي لا يفهمه الا الشباب ذوو النفوس الثائرة لحري بان يكون مستقبله خير من حاضره وان يظهر في الايام الآتية وقد قبض على الشعر الحماسي فاحكم قياده واقبل يدير شعور شباب الامة — وهم الامة نفسها — كما يريد وكيف يريد وهل يريد لها الا السعادة والاستقلال ؟ هذا ما نؤكد ونرجو أن يكون قريباً .

والاستاذ بعد شاب اجتاز العقد الثاني من عمره قبل بضعة سنوات نحيف البنية طويل القامة وهو مدين بالجانب الاكبر من نبوغه في الشعر — وهو بهذا السن — الى البيئة التي عاش فيها بنوعيها — بين غياض ورياض في بقعة طيبة الهواء جميلة المناظر ثم ساح في بلاد فارس وفارس قديمة الشهرة في جمال ارضها مما يغني ذلك الوصف وكان حريا به بعد ذلك ان يطبع على الشعر وان يكون هذا الشعر رقيق الحاشية جميل الاسلوب . اما بيئته

الاجتماعية فقد كان في النجف والنجف حتى الان مهبط العروبة ومجتمع شعراء العرب من الشيعة واهلها كلهم عرب ، فصيحة لغتهم ، كريمة اخلاقهم ، لم تدنسهم العجمة ولم يلوث اخلاقهم فساد ولا دنس ، اضف الى ذلك انه نشأ في بيت كله علم وأدب فكان من بعد ذلك شاعرا وشاعرا فحلا ولما يطر شاربه ويخضر عذاره . فالى اي درجة سيصل بعد ان تحنكه التجاريب وترمضه الحوادث على قراع محن الدهر ورزاياه ؟ ولسنا بطالبين الله ان يقى الاستاذ من الرزايا فهى التى تنفخ فى الانسان روح الحماسة ورقيق الشعور ولو استسلم للدعة — كما استسلم اليها الاستاذ الرصافى — واخذ منه الترف مأخذه لانحط شعره وضعفت شاعريته ونحن لانرى في انحطاط شعر الاستاذ الا انهداد ركن من اركان الادب العراقي الحديث ؟

— يتبع — عبود الشالجي

الديانة البوذية

— ٤ — تتمة

وعند ما بقى غوتاما وحده ذهب الى ساحل نهر (نيرانكارا) واضطجع هنالك في ظل شجرة كبيرة غارقا فى بحر من الافكار لا يعلم ما الذى يجب عليه ان يفعله . تجسمت امامه ادوار حياته من عهد الطفولة الى الصباوة والى الرجولة وحتى الابوة وما كان عليه من نعيم وسعادة وثروة وحب وهيام لكنه تجلد ولم يدع سبيلا الى التقهقر امام هذه العوامل النفسية وزخرف الحياة الدنيا . ولما كانت الشمس تغرب في عين حمئة ؛ كانت هذه الزخارف تغيب من مخيلته غيابا ابديا . واقتنع غوتاما بانه اصبح تلك الساعة من زمرة

(نيروانا) . وعاد يفتش عن اساتذته القدماء و يبشرهم بمنزلته لكنه لم يجد لهم اثراً اذ كانت يد المنية قد اختطفتهم الا انه وجد مرداءه الخمسة السابقين واول موعظة وعظهم بها كانت هذه الموعظة الحسنة :

« ان الطرق التي يجب على الرجل الذي اوقف نفسه للوصول الى أعلى واقدس الغايات فى الحياة اجتنابها انما هى طريقتان لا ثالث لهما : الاولى : تستند الى المطامع الدنيوية والشهوات الحيوانية والثانية : يقصد بها تعذيب النفس وكلا الطريقتين عقيمتين لافائدة تجنى منهما . ولكن هناك طريقة وسطى هي الطريقة التي توصل المرء الى اعلى درجة من الكمال والحكمة او بتعبير آخر تجعله (نيروانا) وهذه الطريقة هى طريق الحقائق الثمانية واليكم هي :

١ — تحرير الفكر من التعصب والخرافات والاوهام .

٢ — تعقيب الغايات الشريفة التى تليق بالانسان الكامل .

٣ — الكلام البسيط ، الصميمي (الصحيح اي صدق اللهجة) .

٤ — الاستقامة في القول والعمل .

٥ — تجنب اضرار الناس والعيش عيشة هادئة لاضرر فيها على ذى روح .

٦ — العمل على كبح جماح الارادة التى تولد الحسد و الجهل .

٧ — الحركة الفكرية المطابقة للعقائد و الشرائع الدينية .

٨ - الافتكار العميق المجرد عن التأثيرات الزمنيه .

هذه هي طريق الحقائق الثمانية التى توصل المرء الى درجة (نيروانا) .

والآن فلكل مريد يود ان يسلك طريق (بودا) يجب عليه ان لايضر بذي روح ولا يقتل حياً مهما كان نوعه . وان يحيا حياة عفة وغناء وان